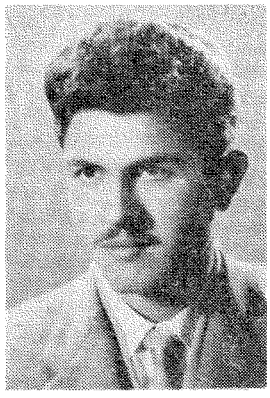

فصد الدم

مسرحية من فصل واحد

بقلم سعد الله ونوس

المسرح عبارة عن ارض دائرية تتناثر عليها كومات الرماد ، والعيدان اليابسة ، وأوراق ناضبة الالوان ، ونفايات . في اليسار جدار واطيء .. متعرج قليلا ، ومهدم في المقدمة حيث تنبعثر أحجاره تاركة فجوة عبور الى الخارج .

وتعطي دائرية المسرح مع توالي الاحداث الرتيبة المتواترة الاحساس بحلبة دائرة مديخة ...

(عندما يرتفع الستار ، نرى جماعة من شيوخ ونساء وأطفال يقتعدون الارض قرب الجدار .. سحنهم متداعية ، وعيونهم جاحظة مطفأة .. وفي جلستهم انسجام خاص ينيح لهم تمثيل التعبير الجمعي المتماثل . الاطفال لا يحطمون الانسجام ، بل يزيدونه شدة من خلال اللمحات الشائخة التي تتوسد وجوههم . ورغم انهم ينكتون الارض بأصابعهم ، الا ان ذلك لا يشابه عبث الاطفال ، ولا يعدو بعدا عميقا للوجوم الذي يسيطر عليهم .

.. بعد رفع الستار بفترة وجيزة يدخل عليوة من اليمين .. وهو رجل في حوالي السابعة والعشرين . متهدل ، يوحي منظره بشيخوخة حقيقية ، وينم وجهه المنفضن وذقنه الطويلة وعيناه الذكيتان عن انهيار ساخر ومدرك . ثيابه مشعثة مهترئة كالمزق . وفي مشيته بعض ترنح ، ويحمل في يده اليمنى زجاجة خمر رخيص مليئة تقريبا .

.. ويتقدم عليوة .. يتلكأ .. يدور بمزيج من الحيرة والخوف وانتشاء الخدر . وفي الجو تطوف موسيقى جنائزية حزينة كترنمات الحادي المتوحد في بهيم الليل الصحراوي .

بعد لحظات يكرع جرعة خمر ، ثم يخرج من اليسار مختفيا .

... يهز مسن رأسه ، يتلوه آخر ، فآخر ، فامرأة ، ففتاة ، فطفل ، فطفل ثان ... تتم الحركة بتتابع متناسق موحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

ويمر وقت قصير ، ثم يدخل علي من اليمين .. وهو شاب في حوالي السابعة والعشرين ، متماسك ، يوحي منظره بصلابة حقيقية لا تفسدها سمة التردد التي تغالب قساوة وجهه ، وصرامة عينيه الحازمتين .. في خطواته الواثقة نسغ انتفاض كاليقظة . اما نظراته فانها الالحاح الصارم ذاته . وثيابه المهترئة نسخة مطابقة لثياب عليوة.

يتقدم علي ، يدور باحثا بالحاح ، ثم يخرج من اليسار .

.. يهز مسن رأسه ، يتلوه آخر ، فآخر ، فامرأة ، ففتاة ، فطفل ، فطفل ثان ... تتم الحركة بتتابع متناسق ، موحية بأقسى أنواع الخواء المتبلد ...

وبعد فترة تكفي لتعبئة الحس بالوحشة .. يدخل عليوة من اليمين جارا هيئته الذكية .. المتساقطة .

عليوة : من يعلم ماذا أصابه ؟ (يمط شفته السفلى بحيرة وازدراء . ثم يرفع الزجاجة الى فمه فيحتسي جرعة كبيرة . يمسح ذقنه وشفتيه بظاهر كفه اليسرى متنفخا بانتشاء) يا له من غبي مأفون ! ان اقتلاع الجبال أسهل من اقتلاع غبائه . مسألة وراثية بحتة (يضحك) يبدو أن الامراض لا تنقرض . تلك حقيقة ضخمة لكارثتنا (تسهم عيناه فيما يردد بخوائية متنامية) كارثتنا .. كارثتنا .. كارثتنا ..

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد)

(يدور عليوة في مكانه .. يحدق الى الجماعة المركومة جوار الحائط)

: (بدون اكتراث) آه .. انتم .. ماذا تفعلون ؟ (تغفر الجماعة عيونها المتآكلة ، ولا ينطق أحد بحرف) سؤال تافه أليس كذلك ؟ حقا. فماذا يمكن للمسرحين من الوجود ان يصنعوا ؟ (تبرق عيناه) .. لا .. ربما كان ذلك صحيحا في بعض اللحظات . لكن ما ان تلسع هذه النار المقدسة لسان المرء وحلقه حتى يشعر فجأة ان الوجود كله يتصاخب في داخله . (يحزن صوته) ويبتعد كل شيء . ينزلق الى فجوة عتم ، وكأنه الكابوس البعيد . (يتمايل) أتجربون ؟

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد)

أأنتم مثله ؟ (يقفز في المكان) يا للشيطان ! انه يبحث عني الان . اسمعوا .. كان يتلامح في عينيه لمعان غريب متوحش .. وكان ينتشر على قسماته تصميم أربد . لا اعرف ما الذي ركبه ؟ فات وقت طويل .. آه .. يا لعذابي . دائما في مواجهتي . صامت كالسهول الواسعة . وعيناه القنفذيتان مغروزتان في صميمي . (يقشعر وجهه) ليس بوسع أي منكم ان يدعي القدرة على احتمال تلك النظرة الواجمة كسلك الزمان .. كلمة غامضة ؟ لعلها .. النار المقدسة يا صحاب .. النار المقدسة . ماذا كنت أقول ؟ (يحك جبينه مفكرا) نعم .. نعم .. تلك النظرة .. السلك الذي يتزحلق عليه زماننا كله . زمان فاسق ؟ من لا يدرك ذلك . بيد ان الاتهام الصامت ، هذا التعذيب المستمر الذي ينفجر في الداخل ، عينا هابيل تحاصر قابيل .. أف (يظهر على وجهه تعبير عذاب حقيقي ، فيتوقف محتسيا من زجاجته .. بعد لحظة صمت ، بهدوء عميق) قابيل اغتال هابيل . أما أنا فالذكاء هو ادانتي الوحيدة .

(تسمع وقع اقدام خارج المسرح فيرتجف عليوة مذعورا) ها هو .. انه قادم . (يندفع بحركة غريزية الى الفرار ، لكنه يتوقف فجأة ، ويتفرس بالجماعة) اياكم ان تفوهوا بكلمة واحدة .. الكلمة مصير (يردد العبارة الاخيرة بينما يجري متجاوزا حائط الشمال) الكلمة مصير .. الكلمة مصير .

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى أنواع الخواء المتبلد) .. يدخل علي مهرولا من اليسار . يتوقف ناظرا الى الجماعة ...

علي : (بتصميم) أين يختبيء ؟ (صمت) أسألكم اين يختبيء ؟ (صمت ـ متظاهرا بالهدوء) اللامبالاة تستنزف القضية ووعد الوجود . (صمت)

علي : (محاصرا) ريح الجنوب الرصاصية تحمل صفير الارواح التي تصدأ بالانتظار . ولا فرار .. اننا موثقون الى الارواح الصافرة .

هذا ما يجب والا كنا اكذوبة ينبغي ان تتبدد . (بعنف) الم تلاحظوا ؟ انه عثة تنخر جذع الامل .. كل امل . (برهة) لا نستطيع ان نسلم أليس كذلك ؟ (صمت ـ باشمئزاز) الى الجحيم .. اختياركم لـــن يفت عضدي ، أو يوهن عزمي . لقد نضج القرار ، وانتهت الحيرة . (بالحاح) لا يمكن ان يستمر ذلك . انه جرسنا يرن . لا تصدقون ؟ ليس كجرسهم . الكذب لا يرن .. انه يفح فحسب .. جرسنـــا .. جرسنا . (صمت) آ .. (يخرج من اليسار مشمئزا)

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد ، وتحر الموسيقى الجنائزية نصوع السكون فترة)

.. يدخل عليوة من اليمين مسترق الخطى . ينقب بعينيه يمينا وشمالا ، فيزفر بارتيـــاح ، ويحتسي من زجاجته التي تتنـــاقص محتوياتهـــا ..

عليوة : أرأيتموه ؟ ما قولكم ؟ (يهز رأسه ، ويترنح) انســـان يضيع حتى امكانية العزاء . ان للغباء الاعيبه (يتوقف .. تتـــورم عيناه .. يتأخر قليلا نحو يسار المسرح ، ثم يهمهم هامسا) عـــلى ان الاب .. الاب التعيس كان أشد غباء . (يمسح بكفه جبينـــه الذي يتعرق)

(تنفجر موسيقى كالعصف . بينما يسقط ضوء باهر عـــلى مؤخرة اليمين حيث يحملق عليوة .. فنرى بيتا صغيرا من غرفتين ، وردهة واسعة تفضي الى الصالون .. تحيط بـــه من اليمين والخلف حديقة مزدهرة تجتاحها جموع متتالية من الاطفـــال والنساء وبعض الرجال .. وثمة صرخات ، وثمة كلمات جماعية تتكرر طيلة المنظـــر مبحوحة ، ممسوسة المخارج كالاصداء :

ـ الرحيل .. الرحيل . المرأة تسبي .. يلغ في طهرها التنيـــن الميت والكلاب .. المرأة العفة صارت للكـــلاب .. جريا .. جريا . يا تعس التراب والانسان ! الرصاص . يا رب . يا بصير .. جريا.. جريا . الرحيل .. الرعب والفيلان .

بعد قصير وقت يلوح في الردهة رجل في الاربعين بيده بندقية صيد ، ويدفع امامه امرأة تولول ، يتمسح بها صبي صغير ..

المرأة : (خلال ولولتها المستمرة) لن أبرح بيتي ما لم تكن معي..

(ترعب الصبي أصوات الجمهور ، وتراكضه .. فيزعق منشبثـــا بثلابيب امه)

الرجل : كفى جنونا .. ينبغي ان ترحلي مع الاخرين .

المـرأة : وأنت ؟.. آه .. أين أذهب بدونك ؟

الرجل : تمضين كسواك الى بيوت الاقرباء .

(يزداد الهرج ، وتشتد الحركة كأن نبضا مفاجئا قد تدفـــق فيهما . الرجل والمرأة يتكلمان دون ان تفهم كلامهما . يستمر ذلـــك لفترة قصيرة .. ثم يتضح صوتاهما كرة اخرى)

المرأة : ولكن ماذا يمكنك ان تفعل ؟ انظر .. ها أنا أرى ابا محمد يجري هناك مع الناس .

ابو محمد : (بينما يجري صارخا) ماذا تنتظرون ؟

الرجل : (مشمئزا) أنت يا أبا محمـــد .. تهرب كالخرفان ؟

(يختفي ابو محمد ملوحا بيده دون ان يبالي بالرد) جبن .. حقارة.. سنصيبنا لعنة الارض ، وستنبذنا الارض . كلا .. أسرعي . لـــن أدعهم يدنسونه .

المرأة : (ولولتها تتفاقم) لن يدنسوه .. وسنعود . اما الان فماذا تستطيع ان تفعل . لا يصد الفيلان رجل بمفرده (برهـــة) ثم هل فكرت في ابننا ؟

الرجل : بلى . لا تحاولي تثبيطي . فمن اجل ابننا أبقـــى . سأصون له البيت . (ينظر الى الجدران بحنان متهدج) .. بيتنـــا الذي شيدناه بنزف الحياة .. آه .. تأملي كيف خرب الخائفـــون حديقتنا . تأملي ما حل بأزهار البنفسج الفالية . البنفسج رمز بيتنا السعيد في البدء وعبر السنين .

المرأة : (عيناها زائغتان) نعم .. البنفســـج .. وسلام الاسر الاليفة ، وبهجة الحياة في دفء الاصيل .

صوت امرأة : هلموا .. هلموا .. انهم يقتربون .

الرجل : واذن لا تتلكأي .

المـرأة : سأبقى معك .

الرجل : (يدفعها) يا للشيطان ! لا تكوني عنيدة . يجب ألا يروع الصبي . سأنتظركما هنا (باخلاص) اقسم انني لن اترك الاوســاخ تفترس غبطة البيت . سأكنسه كل يوم . سأغسل حجراته .. ولـــن يقتربوا منه ابدا .. حتى انفاسهم الوخمة سأدفع هباتها . (حازما) سيبقى البيت . ينبغي ان يبقى البيت يا عزيزتي والا ....

المـرأة : سنبني آخر . أتضرع اليك ..

الرجل : لن نكون جديرين بالاخر ما لم نحم هذا ..

(تعلو الجلبة ، وتقوى الاضواء المتساقطة على الجمهور . يستمر ذلك لفترة طويلة نسبيا)

صوت امرأة : (تستحثهم) يا حفيظ .. ألا تسمعون الرصاص ؟ اتركوا كل شيء والهم النجاة .

(يتحشرج صوتها بسبب البعد والجلبة)

الرجل : (لاكزا زوجته) امشي يا امرأة . وكفى ثرثرة .

المـرأة : (ناحبة) زوجي ..

الرجل : لن يكون زوجك اذا لم يثبت اخلاصه للامانة .

المـرأة : أية امانة ؟!

الرجل : أمانة الارض والبيت . أسرعي .. اسرعي . (يدفعها على الدرجات .. تهبط مترددة) قلت اسرعي من اجل الطفل ..

(تمشي المرأة وهي تلتفت الى الخلف . يتبعها الصبي مذعورا لا يفهم شيئا . وكلما التفتت امه .. التفت معها .

يلوح الرجل بيده ، ويسهم بنظرة قاسية حوله ، ثم يدخـــل موصدا الباب .

(تختفي الانوار .. ويغيب المنظر بضجيجه) .

عليوة : (ناضما رأسه) واذن .. انها الامانة البلهاء . (قهقهة اسيانة مختلطة بشهق غريب) .. عم أسفرت المعركة في تقـــديركم ؟ لستم فضوليين . وهذا مريح كالاغفاءة بعد الغداء . الا انني لا اخفي السر . فيما بعد ذاع النبأ . وكانت الام ضحية . (هنيهة) اندـــر البيت .. وغرس مكانه على اشلاء الامانة والبنفسج ملهى ليلي .. راعف الاضواء .. محموم الهواء . وفي الردهات ترقص نغولات العالم بعري تكهربه الامانة البطلة . (تلتم قسمات وجهه في تقزز) العظمة الانسانية . (يصرخ) في عالم جيفة لا يعيش الا المتجيفون . هـــذه حصيلة عمر لعين عاشني .. وغشني . (فـترة) يا اله محمـــد .. (يضحك) انني أتحول فجأة الى ممث (تسمع وقع اقدام ، فيرتعد) ثانية .. ثانية . الغبي ضحية غبائه . والذكي ضحية ذكائـــه . ليس الا الضحايا ..

(يقول العبارة الاخيرة وهو يخرج من المسرح مترنحا ...)

(تكرر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة ، الموحية بأقســـى انواع الخواء المتبلد ، فيما تنبعث الموسيقى الجنائزية)

(يدخل من اليمين شاب اسمر . وجهه مألوف يحمل التقاطيـــع النموذجية لسكان المنطقة . العينان العميقتان المنطويتان على ضياع قديم ، متجدد . والشارب الطويل ، والشفاه المتلئة قليلا ، والذقن المدببة .. يحمل راديو ترانزيستور ، وتطبع مشيته الحيرة والقلق .

عندما يصـــل منتصف المسرح يفتح الراديو ، فينبعث صـــوت المذيـــع :

ـ زيفوا الوحدة ودعوتها . اما ثورتنا .. فهي المنطق السليم .. المنطق العقائدي لوحدة أصيلة راسه ..

(تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول أنفه في امتعاض . يغيـــر مؤشر الراديو :

ـ البيان رقم ١٠٠١ من الحاكم العسكـ ..

(تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول انفه في امتعاض . يغير مؤشر الراديو :

ـ « يا كركدن لا تحسبن تاتقبضن .. امشي عا ضو عا .. »

(تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول انفه في امتعاض . يغير مؤشر الراديو :

ـ قالوا الوحدة ، وكانوا يكذبون . وقالوا الاشتراكية وكانوا ينافقون .

(تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول انفه في امتعاض . يغير مؤشر الراديو :

ـ راجعون .. راجعون ..

(تتجمع عضلات وجهه متقلصة حول انفه . يقفل الراديو)

الشاب : أف (يهز رأسه) الفخ ! عبوديتنا التاريخية لبساق أجهزة اديسون الملوثة . ما نكاد ندير الزر حتى تنبق في نفينا رغائب الاستفراغ . ونخنق الصوت المتوحش . (فترة) لكن لا تلبث الاصابع المريضة ان تعود باحثة عن افيونها والمعجزة (بمنتهى الاشمئزاز المتأفف) المعجزة حلم حشاش تافه . لا معجزة . لا حقيقة . لا شيء الا البصاق.

(يدخل علي من اليمين بخطى سريعة لهفى)

علي : (للشاب) اين هو ؟

الشاب : (يباغت ، ثم يهدأ بعد ان يقايسه بنظرة هامشية) ماذا تظنني افعل هنا . اني ابحث عنه . هل وجدته ؟

علي : (مندهشا) أنت ؟ من ؟

الشاب : ألا تعرفه ؟ كلنا ـ باستثناء المخدوعين والنائمين ـ نبحث عنه .

علي (اكثر اندهاشا) من ؟ هو ؟

الشاب : نعم . ملجأ خارج حدود الارض . وبعيدا عن دوامة التاريخ الرهيبة .

علي : (يشيله بنظرة خائبة ، ثم يسقطه محتقرا) انهزامي اخر..

الشاب : (ابتسامة صفراء) : هء .. واذن .. خطيب (يضحك) كمية من صنف تجاري كاسد رايج . (يضحك) أم لعلك تحلم باذاعة بيان رقم « ١ » . ظظ . وما الجديد في ذلك ؟ كل اسبوع تبصق لنا اجهزة اديسون الفاسدة بيان الرقم « ١ » فما الذي تبدل ؟

علي : الى الجحيم . لذة علك الزمان بتافه الكلام لم تعد تثيرني . لن أتلكأ في تضرعاتكم المغشوشة . لي قضيتي التي لا تفهمها . اوه (يلتفت الى الجماعة) أين هو ؟ (صمت) . أقول اين هو ؟ اني اشم رائحته (صمت) . انا اعرف كم تغري احاديثه الثملة بالتساهل . انه موهوب بقلب الوقائع لصالحه . (برهة) التساهل ضد القضية كالتواكل .. كالنسيان .. كالصفح . (صمت ـ محزون النبرة) .. يا الهي . في البدء ظننت ان شرارة واحدة تبصرونها كافية لتكونوا عوني الضروري . والان . لا . ينبغي ان يتم كل شيء في الهجر .. في برودة الوحدة والقلق . (متماسكا) لا بأس . هذا وحده لا ريب سيشحن الاحداث بتطرفها النهائي الواعد . (يخرج من اليسار)

الشاب : (ماطا شفتيه ، هازا راسه) أما مفوه ! أهي الوزارة تغزل فكره أم السجن ؟ على كل ليس ارخص من هاتين البضاعتين لدينا.

(يضحك ، وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة ، الموحية باقسى انواع الخواء المتبلد .

تسيل الموسيقى الجنائزية التي تستمر حتى نهاية المنظر .

يمشي الشاب على المسرح شارد البال .. ثم تفتح أصابعه بشرود واعتياد زر الراديو فينبعث صوت المذيع :

ـ لقد أثبتت المؤسسات الدستورية برسوخ مبناها التاريخي انها الاقدر على قيادة حركة التقدم .

(يكشر الشاب عن اسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ بلدنا الصغير . صوت السلام ، وتناغم الجمال ، ومعجزة الاله على الارض لا يعمره الا الحياد ، وترسيخ الحدود حتى نواة الارض .. حتى السماء .

(يكشر الشاب عن اسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ « عايزين ياكلوك ، ومش عارفه ياكلوك منين .. ياكلوك منين.. أكلك منين يا بطة » .

(يكشر الشاب عن اسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ بيان رقم ١٠٠٢ من الحاكم العسكري ..

(يكشر الشاب عن اسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ الوحدة لدينا قضية ومبدأ . أما في أجهزتهم ، فان الوحدة شعار فارغ لخداع الجماهير ..

(يكشر الشاب عن اسنان متضاغطة تتساحق ، ويغير المؤشر :

ـ سنرجع خبرني العند ..

(يكشر الشاب عن اسنان متضاغطة تتساحق ، ويقفل الراديو .

ينهمر في هذه اللحظة من كل صوب ، صدى غميق كلهاث أعمق الوديان يردد نفس العبارة الاولى ، معطيا الاحساس بكورس غائب ينشد من بعيد ، ومن شتى الاتجاهات ..)

ـ الفخ ! عبوديتنا التاريخية لاجهزة اديسون الملوثة . ما نكاد ندير الزر حتى تنبق في نفينا رغائب الاستفراغ ، ونخنق الصوت المتوحش ... لكن لا تلبث الاصابع المريضة ان تعود باحثة عن افيونها والمعجزة . المعجزة حلم حشاش تافه . لا معجزة . لا حقيقة . لا شيء الا البصاق .

(يدخل عليوة مع الكلمات الاخيرة من اليمين . يلمح الشاب ، فيتوقف لحظة ، ويهم بالتراجع . غير انه حين يسف النظر جيدا يعدل عن ذلك)

عليوة : (الثمل يوالي اصطياد اتزانه سواء في الحركات أو الكلمات) آه .. أخفتني يا رجل .

الشاب : (دهشا) سامحك الله . أيخيف التائه الخائف ؟

عليوة : حسبتك الثاني .

الشاب : أتعني الخطيب الذي مر منذ قليل ؟

عليوة : (مرحا) خطيب ! نعم .. نعم . وحق الرب انك بارع (فترة) يا للفصل السخيف الذي نلعبه . ألم تر كم هو مسئم ؟

الشاب : ليس المسئم نادرا حولنا يا صديق . (ينتبه للزجاجة) ولكن ، ما الذي أراه في يدك ؟ خمرا ؟

عليوة : (رافعا الزجاجة) بل حافزا لبقاء . (في تهلل) أتشرب؟

الشاب : (بعد تردد وجيز) ولم لا ؟.. ينبغي ان نجرب كل مقويات الاحتمال .

عليوة : (مصفقا على الزجاجة بفرح) انت حقيقي وأصيل يا رجل . هكذا .. حدسي لا يخطيء . لقد أدركت مذ رأيتك انك حقيقي وأصيل .

الشاب : (يشرب بشراهة ثم يتنهد) مباركة خمرك . ولكنها تكاد تنضب .

عليوة : (بغمزة باسمة) ثمة احتياطي صغير . (يخرج من جيب سترته الداخلي زجاجة صغيرة . نصفها مليء بالخمر) انني مجهز جيدا كما تلاحظ .

الشاب : حقا . وكذا يفعل من يقرر البقاء في الجحيم .

عليوة : (صاحيا) يقرر ؟ لهي دعابة دون ريب (يتمايل يمينا وشمالا) أقول .. اني اكره المداهنات البلهاء .. فمن الذي يقرر ؟ (ينفعل وجهه) ان الفرائس لا تملك تقريرا . ونحن . آه يا رفيق . ما نحن الا هوام سقط في شرك القرارات المجنونة العاتية (يقفز ممثلا) صيادون في غاب افريقيا اطبقوا على الطريدة ، وأخذوا ينهشون وجودها بصرخات عاشقي القتل ، والجنون والتعذيب . صرخة من فوق . صرخة من خلف . صرخة من خارج .. ويتخلع الكيان .. يتفكك ويتناثر في طين الوحم الشامل . (يصمت برهة ، وكأنه يستيقظ) المرة الثانية .. حين يتخلع الانسان يبحث عن نفسه في تادية الادوار والتمثيل ، ويقينا لا يسرني ذلك . (بازدراء) النار لكل شيء .. اشرب .. اشرب .

الشاب : (بعد ان يتناول الزجـــاجة . في سهوم) والله انك فهيم . (كما لو كان يحدث نفسه) فعلا .. ماذا نملك نحن ؟ دوامة فائرة تدوخ القش وتطحنه فيما تلوك نفسها . (يعلو صوته) قش .. قش نفاية تتلاعب به رياح الدوامة الوضيعة . لا القش يملك نفسه ، ولا الدوامة تخون بلاهة مجراها . أوه .. أوه .. (يغمض عينيه . يجرع كل محتويات الزجاجة)

عليوة : (جزلا) طيب

(يرمقه الشاب بنظرة ذات معنى مومئا الى الزجاجة)

عليـوة : انت ..

الشاب : لا .. أنت .

عليـوة : لعلني لا احب ذلك .

الشاب : حسن (يلقي الزجاجة بكل قواه على حجارة الحائط ، فتتهشم مدوية)

عليـوة : (راقصا) طيب .

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية باقسى انـواع الخواء المتبلد)

الشاب : (وجوم مباغت) زجاجة فارغة تحطم . ما الفائدة ؟

عليـوة : لا شيء . (صمت قصير ، ينساق فيه مع جو الوجوم) ما أعنف ان يتقن المرء معرفة المستحيل . ولربما كان ذلك هو امتيازي (يرتفع صوته) صاح . ألم تسمع بحكاية تلك المرأة المسكينة ؟

الشاب : اية امرأة ؟

عليـوة : (تكسو الدعابة المحرورة صوته) ولو يا رجل ، المـرأة التي تسمون قضيتها العار والتهديد والنكبة .

الشاب : أتعني ؟

عليـوة : نعم أعني تلك التي كانت تملك بيتا جميلا على هـامش البلدة ، والتي كانت ـ مع هذا ـ تحب ان تهجره السهرات الطـوال لتثرثر مع قريباتها عن الايام الخوالي ، وبهجة السنين الدارسة .

الشاب : (لا مباليا) التي سطا اللصوص على بيتها .

عليـوة : والتي لا يفتأ يعدها الاقرباء بطرد اللصوص والتحرير .

الشاب : (زافرا) ما اكثر ما يعد الاقرباء !

عليـوة : وعود كالرمال . جيد .. اننا نقترب من ضياء الشمس. أتظن ثمة أمل ؟

الشاب : لا ادري .. ربما لا ..

عليـوة : (يترنح ممثلا) ربما .. لا ادري .. كلمتان ثاقبتـان (فجأة) أما فكرت في مصابها من قبل ؟

الشاب : (اثر تأمل وتدبر) الحقيقة كلا . (يقهقه عليـوة) ليس ذنبي . لقد حدثونا عنها كما يتوقعون عن موقع جزر لاهـاي . ثم أكاذيب .. ثم مشاكلنا . مشاكلنا التي تلتهم الصفاء والطاقـة والاماني . (يقهقه عليوة) الدوامة المتوحشة يا هذا . نلوك مطـاط الزمان ، ونراوح في المكان . لا فرجة . لا ثقب . لا نفاذ .

عليـوة : (يربت على ظهره) تعجبني صراحتك يا رجل .

الشاب : (مغتاظا) اللعنة على الصراحة . (يضرب الارض بقدمه) من اين نبدأ ؟ من اين نبدأ ؟ هذا هو السؤال .

عليـوة : (باسما) تريد ان تعرف ؟

الشاب : بالتأكيد .. اريد .

عليـوة : (عبر قهقهة متداعية) اذن فمن زجاجة مليئة نبدأ .

الشاب : (يحدق الى عليوة ، ثم الى راديو الترانزيستور ، وبعد سهوم يغمغم في فتور مبحوح كالمرض) لعل .. ليكن .. ليكن .

(تندلق الموسيقى الجنائزية . ويناول عليوة الشاب الزجـاجة الاخرى فيحسو ملء فمه ، ثم يشرب هو مبتسما ... تسمع بعد قليل ضجة خارج المسرح)

عليوة : (مرتبكا كمن لدغ في قدمه) الدب الابله . هلم .. هلم .

(يتلكأ الشاب متلفتا حوله بحيرة ، فيجره عليوة ، وهو يـردد مجمجما :

ـ الدب الابله .. هلم . الدب الابله .. هلم .

يخرجان من اليسار ..

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية باقسى انـواع الخواء المتبلد ، ويتعمق حزن الموسيقى السائلة في خلاء المسرح .

اثر دقيقة تقريبا ، يدخل علي من اليمين متزايد اللهفة ، متسارع الخطـى)

علي (متعبا ، وقد كنست عيناه مختلف جوانب المكان) ايضا.. لا احد . ولكن رائحته .. النفتالين الطري . ولكن صوته .. الشحم الذائب . عبثا . كملاسة ثعابين المياه . ما يخيل اليك انك امسكتـه حتى ينزلق غائصا في القعر الاسود الكثيف . (يدور) يا رب . انها نفسي .. وانا وحيد . ولو كانوا يساعدونني ! لو كانوا يعلمون انني من اجلهم (يغور صوته فيتجه اليهم) انتم يا .. لماذا ..

(في هذه اللحظة ، يدخل من اليمين رجل كبير ، يلبس ثيابـا فاخرة ، ويضع على عينيه نظارة طبية يتدلى بين زجاجتيها أنف طويل كمنقار اللقلق . انه صحفي . بيده اليسرى دفتر أسود وباليمنـى قلم حبر ناشف مما يستعمله الصحفيون . ويعلق في كتفه الة تصوير سريعـة)

الصحفي : (صوته نسائي .. هش) اخيرا .. (يدمدم) لو لم يكن المرء بحاجة اليهم لما عرف كيف يذبهم عن باصريه (يصبح الـى جوار علي) ها انني أجد بغيتي . الحقيقة ، يكفي واحد . الا انني سأستغل التعدد في التأكيد . وما دام مثلنا يملك الموهبة فان المطابع ليست بلا فائدة . الحقيقة ان الصحافة مهنة مثيرة رغم متاعبها .

علي : (يغلب عليه النفور) والان ماذا تريد ؟

الصحفي : الحقيقة .. شيء بسيط للغاية . انني أعد ريبورتاجا فريدا . (يفتش عن كلمة) بوسعك ان تصفه احد مظاهر المعركة . الحقيقة .. ان المعركة مستمرة ، وليست الكلمة أقل اسلحتها .

علي : (نافد الصبر) والان .. هلا أفصحت عما تريد ؟ ان مهمة كبرى تنتظرني .

الصحفي : (متبسما) اعلم . وهي مهمة لن تنجز الا بقيـادة سيدنا الحكيمة .

علي : سيدك ؟!

(الصحفي : أجل .. سيدي قائد المعركة الكبرى ، وفارس العودة، وبسمة الامل في مدلهم الديجور . (صمت ـ يبتسم) الحقيقـة .. الحقيقة جئت ابحث عن اعترافكم بذلك .

علي : اعترافنا ! هذا ما جئت تلتمسه حقا ؟ (غاضبا) لتطفـىء الشياطين ذبالة نور العالم . ألم تشبعوا من الكذب بعد ؟

الصحفي : ماذا أصابك ؟ الحقيقـة انني اكره موضة السخط والشتائم ، كما اكره تسالي النقاش واحتقان اللوزتين .

علي : (صاخبا) اكره ما تشاء . ولكن دعونا وشاننا .

الصحفي : (ضاحكا بسخرية) ندعكم ؟ والله عال .. الحقيقـة ان المسألة ليست بالسهولة التي تتصور يا حبيبي . هناك نظـام أقوى منا جميعا .

علي : لست حبيبك . ثم أي نظام مبعوج جئت تهرف عنه ؟

الصحفي : النظام . نعم النظام . الحقيقة ما الانسان ؟ مجـرد مسمار زهيد في عربة النظام الهائلة . فاصغ الي جيدا اذا أردت ان تعرف نظامنا الخاص . (يسرع صوته مذكرا بحكاية ابريق الزيت) السيد يريد ديمومة الحكم . وديمومة الحكم تقتضي رضى الشعب . ورضى الشعب يقتضي مظاهر الوطنية والبطولة والصلاح . وقضيتكم اكثر القضايا حساسية ، وانسبها لارتداء جلابيب الوطنية والبطـولة والصلاح . واذن ، فليكن ضجيج . ولتدق الطبول . الصامتة منهـا والداوية . ثم .. انا رجل يجالد الدهر ليعيش . العيش يفرض تنفيذ رغائب رئيس التحرير . ورئيس التحرير ينفذ رغائب صاحب الجريدة . وصاحب الجريدة ينمي ثراءه بتنفيذ رغائب السيد . ويدور حجـر الطاحون .. يدور ويدور طامسا ضجيج الشاتمين ، وهلوسة الصخابين

لا يتلكأ .. لا يتعثر . يتغير السيد ، ويتبدل حبر المطابع ، لكن الحجر لا يتلكأ .. لا يتعثر . ويدور . يدور ويدور الى ما لا نهاية . (يضحك) ها أنا اذيع سر المهنة . أيكون ذلك بلا مقابل . الحقيقة انت طيب ، ولن تضن علي بالتعويض .

علي : (منذهلا) أجل . طيب الى حد انني أود لو اطعم رأسك لقطط البرية . (يلتفت الى الجماعة) أسمعتم ما نحن ؟ ديدان لافخاخ العصافير الضائعة . (مشمئزا) وللدود المستنقع . اما ينبغي ان يعلمنا مذاق المستنقعات التفه شيئا ؟ (مخاطبا نفسه) كلمة سوف تعني لا ، والى الابد . (بعزم) الان .. الان تماما ستخرج اول دودة من المستنقع .

(يغادر المسرح من اليسار بخطوات عجلى)

الصحفي : (يضرب كفا بكف) والله عال . لهي مغبة ان ينام جهاز المباحث . لقد كنت مصيبا جدا اذ أثرت هذه القضية مع المسؤولين منذ ايام . الا ان للمسؤولين صوابهم ايضا ، فماذا يمكنهم في الواقع ان يفعلوا اكثر من مصادرة نصف المدارس والمراحيض العامة للمعتقلين . الحقيقة .. ان اية حكومة لن تعرف الاستقرار ما لم تجد حل هذا الاشكال . (كأنه يتذكر ، يتجه الى الجماعة) اوه .. ولكن بالنسبة لكم يختلف الامر .. أليس كذلك ؟ انكم أحكم من تابع الشيطان ذاك ، وستتعاونون معي دون ريب .

ـ (صمت)

(مبتسما) لا تتظاهروا بالذكاء ، فنحن نفهم بعضنا جيدا .

ـ (صمت)

طيب كم اذن ؟ خمسة لغير الاطفال

ـ (صمت)

(على جدة) انهم يساومون ببراعة . الحقيقة ليس بالمبلغ الزهيد.

ـ (صمت)

(محنقا) ماذا كان يدفع عملاء ذلك الدعي ؟ اكثر ؟ (بعد تردد) لا تلوموني اذا قلت .. اني اشم رائحة الشراهة .

ـ (صمت)

ما أشد عنادكم ! ليكن .. عشرة اذن .

ـ (صمت)

لا .. لن ازيد المبلغ قرشا واحدا .

ـ (صمت)

(على حدة) يا للمأزق ! يجب الخروج منه بأي ثمن (برهة) ستندمون لانني لن احتمل مساومة اكثر . اسمعوا أقسم انهم لم يرصدوا الا ما أعطيتكم .

ـ (صمت)

ما هذا ؟ لا بد من حل . (يدور مفكرا) الحل .. الحل . (تنثال الموسيقى) الحل .. الحل . (لا يزال يدور) الحل .. (يقفز بهستيرية) وجدتها .. وجدتها . عندما يتكلم البكم بأبلغ مما يتكلم اللسان . عنوان مثير . بعض الرتوش فقط . (يفتح الدفتر الاسود ويكتب) كلمة صمت أجمل وقعا وأمضى تأثيرا . عندما يتكلم الصمت بأبلغ مما يتكلم اللسان . (يكتب بصوت مسموع متحمس) وفي زاوية ظليلة وجدتهم . كانوا وجودا مترابطا ، بل موحدا .. تطيف به لهثات ألم غامض .. كثيف .. متدافع . وخزتني الرؤية ، وحين حييتهم انداح صوتي في الخواء متلاحقا بصدى كئيب .. كزفر المقابر . لا يحب رئيس التحرير كلمة المقابر . كزفر .. كزفر المدى الموحش . في البداية لم أفهم ، ثم عندما أطلقت الافواه الخرساء أصواتها المبتورة المثقلة بالمعنى أدركت انه البكم . ماذا أفعل ؟.. كدت أتركهم باحثا عن اخرين ، لولا انهم أغرقوني بوآوآتهم البليغة المؤثرة . فأخرجت صورة السيد ، ووضعتها امامهم . يا للروعة ! ان يراعة هوميروس تعيى عن سكب انفعالات المشهد وحرارته في كلمات . وثب عجوز فاختطف الصورة وراح يلثمها . وصوتت النساء في زغاريد مقطعة مبحوحة ، وانخرط الاطفال يدمدمون راقصين . كأنهم الاغريق يقدمون قرابين الشكر لاحكم واشجع الالهة . بديع .. بديع . سينبهر رئيس التحرير ، وستكون مكافأة مجزية هذه المرة . (يتقافز مهووسا) لم يبق الا الصور . (يوجه كاميرته اليهم ، ويلتقط ثلاث صور من زوايا مختلفة ، ثم يخرج مرددا) ألم أقل .. ما دام مثلنا يملك الموهبة، فليست المطابع بلا فائدة !.

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

وتذوب لحظات ، ثم يدخل عليوة ورفيقه متمايلين ، يحيط كل منهما كتف الاخر بذراعه . انهما يعبران المسرح .. ولولا بطؤهما وتوقفاتهما الوجيزة لما استمر المشهد اطول من دقيقة)

عليوة : (مواصلا روايته التي يلوح أنها بدأت قبل دخولهما . لسانه متلجلج ، ومقاطع النمات مضحكة) فانا حالة استثنائية .. كانسان بلا ثقل .. بلا وزن . هل فهمت ما أعني ؟ تلك الوضعية التي تيبس فيها الجذور ، وتتلاشى الروابط . (يتوقفان) ربما قرأت ذلك في كتاب . لا اذكر ..

الشاب : (صاخبا) اللعنة على الكتب .

عليوة : اي والله . فهي الكذب والوعد الزائف والوهم المفسد . (يتنهد) عقيب الخروج الكئيب . (منفعلا) يا رجل ، حتى البحار تعلمت الغدر . وبدلا من ان تنفرج لوسى أغرقته ، وتراجعت ذليلة أمام .. أمام .. أمام (بقسوة مثقوبة بالتهاوي) من زني التاريخ بأمهم .

الشاب : (مبتهجا) عظيم .. عظيم . نخب البلاغة .

(يشربان ، ويتابعان ترنحهما)

عليوة : (متضاحكا) البلاغة ! ربما . ماذا كنت اقول ؟ ماذا كنت اقول ؟ اجل . عقيب الخروج (يكتئب صوته) كنا متفقين كما لا تتخيل . يشدنا الحزن ، والجوع والخوف بسماط واحد. لا شباك.. لا شكوك .. لا فواصل . نذرف الدمع في حضن الام المهدومة ،

شعر

من منشورات دار الآداب

★ ★ ★

		ق.ل
الاعاصير	للشاعر الفروي	٣٥٠
وحدي مع الايام	لفدوى طوقان	٣٠٠
وجدتها	لفدوى طوقان	٣٠٠
اعطنا حبا	لفدوى طوقان	٢٥٠
مدينة بلا قلب	لاحمد ع. حجازي	٢٠٠
عيناك مهرجان	لشفيق معلوف	٢٠٠
ابيات ريفية	عبد الباسط الصوفي	٣٠٠
ابيات مؤرقة	لسليمان العيسى	٣٠٠
في شمسي دوار	فواز عيد	٢٠٠
الفجرآت يا عراق	هلال ناجي	٢٠٠
المشانق والسلام	عدنان الراوي	٢٠٠
حداء وغناء	خالد الشواف	٢٠٠

وننزف الشجون آهات ، ونلتهم الكتب ، ونستمع الى الخطباء . وكانت الضوضاء المشتعلة توقد بقايا ضوء لطالما تقوتنا منه . لكن (يتوقفان قرب الحائط) سرعان ما هدأت الضوضاء ، وانطفأت بقايا الضوء . ذلك .. ماذا اسميه ؟ ادراك ناصع كثلج الميلاد . أفيخون المرء ادراكا بهذه القوة . في البداية لم يتكلم . غير ان عينيه كانتا تثيران القيء في جوفي . ليخسف الله تلك النظرة . كالوحل اللزج يغطي تمساحا همجيا مخيفا . وكنت اعلم . اخيرا .. اخيرا تشققت لزوجة الوحل . وبرز رأس التمساح هائجا .. غبيا . (متقلقلا) لنسرع يا صديق . اني .. قلبي مضطرب ، ولعلني خائف .. (بأسى) قبل ان تتنظف الارض من القباء لن نذوق عذوبة الراحة .

الشاب : (وهما خارجان) والمصيبة ان جذر القباء أعمق واصلب.

(يخفت صوته تدريجيا) انه الاكثر صلابة .

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة ، الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد . وينسكب مع الموسيقى عزيف ريح هادىء .

يدخل علي من اليمين ، وما فتئت لهفته تتنامى ، وخطواته تتوسع . يجوس بعينيه في المكان كما يفعل كل مرة) .

علي : (متشمما بتقزز) الرائحة ذاتها . أنفاس الموتى ، ولهاث المائعين . انه يستغل قانون الحلقة المفرغة ظانا ان الاطار الدائر أقوى من ارادة انسان يبصر منطلقه . سيرى .. (يخرج من حزامه خنجرا عتيقا يهزه في الجو) سيرى . لعنة البيت رهيبة لو تحل . انني أعنيكم ايضا (مهدئا نفسه) أما تسمعون ؟ لماذا .. أهو اليأس ؟ ان بداية من اليأس تجعل حدود الممكن بلا نهاية . (برهة) وعلى كل ما الذي سنخسره ؟ الفتنا الفيتة مع الخور ؟ أهي التضحية العظيمة ؟! بربكم انطقوا . تكلموا اي شيء .. اي شيء .. (ممتعضا) حجارة منخورة .. وضيعة .

(ويغادر المسرح من اليسار راغيا ..

تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .. وينسكب مع الموسيقى عزيف ريح تشتد .

يدخل عليوة من اليمين راكضا وقد بوخ الخوف كل التعابير الاخرى على وجهه)

عليوة : وحق الرب كاد ان يراني . (يمشي قلقا . وأجفانه حمراء تتورم) ما العمل ؟ ـ يا لغبطة صديقي ! انه يغفو الان كالسنونو بعد نهاية رحلته السنوية . (يميع صوته) اريد ان اغفو .. ان اتمدد وأغيب مرتحلا عن السخف والذكريات ووعي المستحيل . (تتزايد ميوعة صوته) يا صحاب . كل المدركين والناضجين يبصرون انسداد الافق بالمستحيل ، فلم نناطح الاوهام بعدئذ . لماذا لا نلتفت الى المطى فنستنفده حتى نمالته . (ركض خارج المسرح) هو .. هو يا للسماء .

(يجري بعصبية هاربا من اليسار)

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

يدخل علي من اليمين متطلعا حوله . والخنجر ما يزال يبرق في قبضته)

علي : الخيبة مرة اخرى . والرائحة تثقل وتتكاثف . اقتربت اللحظة . ومزيد من العناء لا يساوي شيئا اذا ما طافت بالذهن روعة البدء من نقاء التصفية الكاملة .

(يهرع خارجا من اليسار

وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية باقسى انواع الخواء المتبلد ..

فترة .. يدخل عليوة متثاقلا من اليمين)

عليوة : (عابرا المسرح) الغباء .. الغباء .

(يخرج . وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

فترة قصيرة .. ويدخل علي متدفق الحيوية)

علي : (عابرا المسرح) لا مستحيل . الارواح تصفر .

(يخرج . وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

فترة أقصر . يدخل عليوة لاهثا)

عليوة : (عابرا المسرح) تعبت .. تعبت .

(يخرج . وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

فترة أشد قصرا . يدخل علي)

علي : (عابرا المسرح) سأقض مضجعه . البدء غب النقاء .. البدء ....

(يخرج ساحبا خلفه بقية قوله . وتجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقسى انواع الخواء المتبلد .

فترة وجيزة جدا . يدخل عليوة مجرور القدمين)

عليوة : (منهكا) كفى .. رأسي كالجبل الاجوف . وجسدي كالرمل تشتته ريح بلهاء .

(يدخل علي مشتعل الملامح)

علي : (في هياج) واخيرا اظفر بك .

(يبتل عليوة مجهودا نهائيا. بيد انه يستسلم فجأة فائط الهيئة.. مبعثر الملامح)

عليوة : (ملتفتا) طيب . والان عم تبحث ؟

علي (اصرار فحسب) انت تعرف عم أبحث ..

عليوة : (مثقل الاجفان خائرا) اعرف .. لا اعرف شيئا سوى .. عينيك .. هابيل الاحمق .. هابيل الابله .

علي : (ملوحا بالخنجر) لا تتجاهل . الهاتف داو ومزلزل يا عليوة .

عليوة : هاتف الرب !

علي : ربما .. الرب الذي يتفتح في النفس توقا ووهجا وانبعاثا .

عليوة : (مقهقها) لقد تأخر الرب اذن . او لعله يعبث . (فجأة يحول باصريه الى الجماعة) ألا ترون .. ان جلالته مدين لنا بالكثير بعد نمرة التهريج الطويلة التي نلعبها لا نزال .

علي : (هاجما) أمنعك من نفث السموم . انت هالك .

عليوة : هالك ؟

علي : (يهز الخنجر) يا عليوة .. (فترة) كان خائبا لانه لم يعرف نفسه . ثم كان ضائعا لانه لم يجد بدايته .

عليوة : أبعد هذا الخنجر الوضيع .

علي : لماذا ؟ مهمته لم تنجز بعد .

عليوة : (قافزا) هابيل .

علي : بل انه البدء .

عليوة : لا بدء ..

علي : بعد تنقية النفس من ذبابها ، وبتهويتها من عفونتها يستيقظ القدر .

عليوة : (خائفا) سوية عاقرنا المستحيل المطبق كالهواء . سوية ذقناه .. سوية تعلمناه فلم التحامق ؟

علي : ووحيدا يا عليوة أبصرت موت المستحيل واندثاره . (صارخا) هنالك عهد مقطوع يا عليوة أم نسيت ؟

(تنفجر موسيقى كالعصف ، ويسقط ضوء باهر على مؤخرة اليسار حيث يحملق كل من علي وعليوة ...

نرى نفس البيت الصغير الذي شاهدناه سابقا ، والحديقة التي تجتاحها جموع متتالية من الاطفال والنساء وبعض الرجال .. والصرخات .. ونامة الكلمات الجماعية

ـ الرحيل .. الرحيل .. المرأة تسبي ... الخ

وعلى الشرفة نشهد الرجل والمرأة ، والصبي الذي يتمسح فزعا بتلابيب امه ..

المرأة : سنبني اخر .. أتضرع اليك .

الرجل : لن نكون جديرين بالأخر ما لم نحم هذا ..

المرأة : سيبلعنا الزحام ونضيع ..

الرجل : لا .. اياك . الغلام ، لن تتشاغلي عنه . ستعلمينه ، وتوقظين في أوصاله رجولة يترقبها ظهري العاري (حماس ومرارة) ساظل أهش نبحاتهم حتى يعود ، وألف ويل لك ان لم يعد ..

المرأة : (ناحبة) يا رب .. في صوتك نغم فاجع .. نغم الفراق.. وزفر مدافن البهجة .. كلا .. كلا

الرجل : هراء .. وأوهام . تحركي . الغلام جذرنا وأملنا فهل نفرط به من اجل الهراء !!

صوت امرأة : (تستحثهم) يا حفيظ . ألا تسمعون الرصاص . اتركوا كل شيء .. والمهم النجاة ..

(تختفي الانوار ، ويغور المنظر في التلاشي ..)

عليوة : وماذا تثبت ؟ انني لا أفتأ أنسى هذه الفقرة من حديث ذلك اليوم ؟ صحيح انني انساها .. وكم هو طبيعي ان ينسى المرء ما لا يجد له معنى . ان ما حدث بعد المشاهد (لفظ مضحك) والمواقف البطولية مثلا لا يندثر من الذهن . ما ظلت الحياة تنبض في الذهن . ولربما تسعفنا في الاخرة قوة الذاكرة ، فنفدو مهرجي الملك المقربين .

علي : (ذاهلا بالذكرى والخيبة) اليقين سليم .. وينبغي ان تنتهي يا عليوة . فأنت الاسار والظلام .. انت الطحلب والعشب السام.

عليوة : (محاولا التصلب) حذار .. فانا أيضا العقل والمنطق.. ولولاي لما كنت الا طيشا نزقا ، وضجيجا بائرا (فترة) الواقع انك لست بعيدا عن هذه الحالة مذ ركبك حمق اقصائي ..

علي : الشق المعطوب من عقلي . أؤمن بالبتر . وليمنحني الله القوة (بعزم) آن للمتلبد ان تصحو دماؤه ، فتنشد في موكب المنبعثين من جلد الهزم .

عليوة : لو سمعك صديقي الذي يحلم الان بأرضه الطاهرة .. المفسولة من الماحكات والكذب والضياع ، لاضاف الشعر الى خطابتك. يا رجل .. هل عميت ؟ ألا تبصر قدامك صلابة السدود المانعة ؟

علي : السدود الاصلية في الداخل . اما سدودك ، فطين رخو سرعان ما يتهاوى اذا ما انزاحت الاولى .

عليوة : (بالحاح) أف .. صيد السحاب مرارة جدباء . انت تعلم ان الغيلان لم يصدها رجل بمفرده . لقد مزقت الغيلان الرجل بمفرده.. داسته .. وعلى الاشلاء شادت حانة لتساقي انخاب الظفر ..

علي : هذا ما أقول .. دم فاسد تجلط ومات ، فانقلب فحة خراب تسمم الدم ، وتحجز دفقه .

عليوة : ما أبرعك في التملص ! لكأن الحقيقة تسبب لك مغصا . (يمثل ساخرا) ليتصور المشردون عملاقا يمتطي الريح ، ويحمل سيف الأساطير . يقاتل الغيلان فيقتل الغيلان .. وتقوم الساعة . (يضحك ثم بجدية مفاجئة) أتأمل عون الاقرباء يا هذا ؟ ام تأييد الاسرة الانسانية الفاضلة ؟..

علي : (بعد قصير تأمل) ليس من يهتم بالرمم .. اما حين تندلع نيران الفدر متوهجة بحقد الاباء وعذابات الضحايا ، فاننا سنغتصب من الاقرباء واجبهم ، ومن الاسرة الانسانية مسؤوليتها . (غائب النظرة ، يؤججه الحماس) .. ولكن ، لا بد قبل ذلك من فصد الدم الفاسد .. الدم الميت المسود .. كل الذين ينسون او يحاولون .. كل الذين يرضون هزيمتهم خائنين الاصل والوعد .. بالراحة والتلاؤم .. (يرتفع صوته) عليوة .. هذا ما أخبرتني به البصيرة الطائفة بالبيت .. بالارض النادبة جذرها المخلوع .. لا بد من فصد الدم الفاسد ، الذي تتنته شهوة التلاؤم مع الراهن ...

(يقترب شاهرا خنجره)

عليوة : (يتقافز فزعا) لا .. أي جنون ..

علي : شذى الخلاص يفعم انفي ..

عليوة : رجاء .. ان اللعب بالاسلحة خطير .

علي : لن ينال المرء شيئا ما لم يمتط متن الاخطار ..

عليوة : (متراجعا) طيب .. سوف احيا بهدوء . لن ازعجك البتة.

علي : (مهاجما) اريد ان ابدأ ..

عليوة : تستطيع ان تبدأ .. لن أفوه بعد اليوم بكلمة .. ساحيا في الظل منزويا عن عينيك .

علي : لا بدء قبل الفصد . انت خدر يا عليوة ، ولا يملك الخدر ان يكون شيئا اخر ..

(يقترب اكثر ، جاحظة عيناه)

عليوة : آه .. ارحمني .. أحب ان احيا ، وارتشف متع العيش الهادىء المنسي . (بحرارة) احب ان أثر من تاريخي ، وأذوب في غمرة العالم بلا شكل ، وبلا ملامح . أنفرز في ارض وأنسى .. أتواءم مع حياة وانسى .. لدينا الكثير (يغير لهجته) كانت لنا ايام .. وكانت لنا ام . أتذكر لما فاجأتنا ونحن نلتهم رغيفها الذي سرقناه من السلة . لقد غصصنا ، واختبطت حركاتنا فضحكت ملء شدقها وهي تعنفنا .. ثم ...

علي : (منفعلا) صه .. صه .. لا تحاول التأثير علي .. لن ابيع وعد الوجود بالشفقة . أتسمع النداءات القاهرة .. من بعيد .. من صلب الماضي الاصيل .. الماضي حيث يكمن تبريرنا ومبتغانا معا (بعنف) لا تراوغ .. ان قرارات التاريخ لا تستأنف .

(يداوره مقتربا)

عليوة : (يتراجع في منحنيات) قاتل متوحش خلت منه المشاعر . ليس في عينيك الا الحقد ، والكراهية المسمومة .

علي : (متوجعا) ابدا .. من يعرف نفسه لا يبغض بواطنها المعلولة ، لكنه يرفضها . وبالحب .. بقهر القلب والالفة يسلخها عنه . ومن هنا ستستمد الطلقة الاولى نبلها (ضعيفا) آه .. لا اكرهك يا عليوة . لا يمكنني ان اكرهك .. غير انني اريد ان ابرر نفسي .. ولن يكون ذلك ما دمت موجودا .

عليوة : دعني ..

علي : لا استطيع .

عليوة : (مستفلا تراخي الاخر حتى النهاية) ساحيا .. ساحيا.

علي : لا استطيع .

عليوة : (يرامقه طويلا ، ثم بعمق ايحائي ذكي) وانت لن تستطيع ايضا ان تفعل ..

علي : آ ..؟

عليوة : سترتعش يدك .. وتتراخى اصابعك . وسيسقط الخنجر هكذا .. بهدوء وثاقل كجثة الندم .

علي : اصمت ..

عليوة : الوجه يفضح رغم بجاحة العينين وخز الزنابير الخافية.

فندق نيو بالاس
ادارة : فتحي نوفل
وسط راقت
خدمة ممتازة
مياه ساخنة
تليفونات بالغرف
جناح خاص للعائلات
أسعار معتدلة
مصعدان حديثان
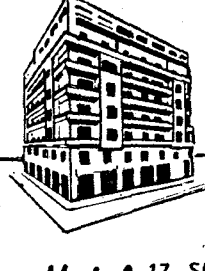
١٧ شارع سليمان الحلبي (دوبريه سابقا) القاهرة
خلف سينما الكورسل بعماد الدين
ت : ٤٥٩٣٦
س ت : ٧٩٧٩١
New Palace Hotel 17 Sh. Soliman el Halaby Telephone 45936 - Cairo

لا شيء ثابت ، وفي السكون تدوم الحيرة . للقتل آلهة لا يتـــدرب الانسان على حبها ببساطة ..

علي : لا .. لا ..

عليوة : وينجلي الوهم . ان الاعصاب ثقيلة لا تطاوع ، والكتف منحل . وفي الساقين يسري خور انساني رائع . ويسقط الخنجر .. يسقط كالافعى لو تسممت بالتفاحة .

(يتراجع علي خائفا)

عليوة : (مواصلا بحرارة) ويأبى الوهم انهزامه ، فيصفر فـــي الاعصاب لتحاول . تتوتر الاوصال ثانية . وقد يفلح المـرء ليسقط فـي مصيدة الندم . القريص يلحس الباطن .. أشد الاغشية حساسية . القريص يلتف على الشفاف . تندفع البثور ، وتمتد اليد لتهـرش ، فلا تبلغ شيئا . شقان للجحيم . والافضل ان يهدأ .. ويتواجد فـي الفة جديدة مع المكان الجـــديد .. ان يستنفد اللذات ، ويـرتشف العذوبات الصغيرة التي يكتظ بها العالم . حسوة الخمر الجيد .. اللذة تفعم وحشة الليل .. اللحن الهادىء .. الغفـــوة الهانئة .. آه .. ما اكثر ما تحفل دنيانا بالمذاقات الماتعة .

(يندحر علي ، وتسود برهة صمت ممطوطة ، يتفرس فيهـــا كل منهما بالاخر)

عليوة : هراء ان يبعثر المرء كل شيء من أجل السراب وخديعة الو...

(ينفجر صدى عميق يطمس قول عليوة :

وتوقظين في أوصاله رجولة يترقبها ظهري العاري . ساظل أهش نبحاتهم حتى يعود . والف ويل لك)

علي : (مستعيدا نفسه كالنهر يجتاح جليده) كدت تخدعنـــي يا عليوة . كدت تنتزع الصواب من رأسي . (يهجم) الف ويل لي ان اتراجع (يمسك عليوة المشدوه ، ويطعنه في كتفه)

عليوة : آخ .. قاتل .. قاتل (١)

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقســـى انواع الخواء المتبلد)

علي : اولى المعارك اقساها (يطعنه)

عليوة : (محاولا الهرب والذود عن نفسه) آخ .. بحق الارض والرحم .. اخ ..

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقســـى انواع الخواء المتبلد)

علي : وتنزف النفس فاسد دمها .. (يطعنه)

عليوة : (متهاويا) قتلتني .. قتلتني ..

علي : تموت ليحيا أمل .

(تجتر الجماعة حركة هز الرؤوس المتتابعة الموحية بأقســـى انواع الخواء المتبلد)

عليوة : (يسقط على الارض ، متخبطا بدمه) السماء حمـــراء (بخفوت) لماذا يا علي ؟ أحن للارض . كنت أحن للارض .. لكـــن (متحشرجا) الذكي يموت بذكا ..

علي : (بعد صمت ذاهل ، يفيض المسرح فيه بالموسيقى الجنائزية يهوي على الجسد) أحبك ، وأرفضك . لكي نلبي نداء الارض المـــليء لا مفر من أشق التضحيات يا عليوة ...

(سكون طويل مبلل بالموسيقى ، وباجترار حركة هز الرؤوس)

علي : (ينهض ناقضا رأسه ، ويتطلع الى الجماعة بحدة ثم يردد حازم الصوت) يبقى صمتكم .. يبقى صمتكم .

(ويسدل الستار)

سعد الله ونوس

---

(١) كل شيء مختلط .. الحوار والحركات .

صدر حديثا في

سلسلة القصص العالمية

الحلقة الاولى

قصص سارتر

في كتاب واحد يضم : الجدار ، الغرفة ، ايروستراتـ صميمية ـ صداقة عجيبة

نقلها عن الفرنسية

الدكتور سهيل ادريس

الثمن ٣٥٠ ق.ل

والحلقة الثانية

قصص كامو

في كتاب واحد يضم : الغريب ـ الزوجة الخائنة ـ الجاحد ـ اليكم ـ الضيف ـ جوناس ـ الحجر الذي ينبت

ترجمة

عايدة مطرجي ادريس

الثمن ٤ ليرات لبنانية

منشورات دار الآداب